

أنساق الشعر العربي الحديث من منظور أحمد يوسف خلدون ريمتا - أ.د عبد المالك ضيف

كلية الآداب واللغات - جامعة محمد بوضياف - المسيلة - الجزائر

البريد الإلكتروني للمرسل: dr.khaldoune@gmail.com تاريخ الإرسال: 25 جانفي 2018

التقييم الدولي: 1969 - ISSN 2335 - تقيم الإلكتروني E.ISSN X 506-2602

الملخص:

Résumé:

Je vais essayer a travers ce travail de recherche de découvrir les systèmes de la poésie arabe moderne selon dans son livre (AHMED YOUSEF) "UNE LECTURE SYSTÉMATIQUE DU POUVOIR DE LA STRUCTURE ET L'ILLUSION D'IMMANENCÉTÉ", Dans lequel l'auteur a traité les bases structurales les plus importantes dans la critique Arabienne de la poésie arabe moderne. À partir de sa base rythmique en considère que le rythme à atteindre le degré du système dans la poésie arabe moderne .

Mots clés : le système . Rythme
.Structuralisme . Modernité

سنحاول من خلال هذا البحث اكتشاف أنساق الشعر العربي الحديث من منظور الناقد أحمد يوسف في كتابه " القراءة النسقية سلطة البنية و وهم المحايثة"، حيث تطرق فيه إلى أهم المقاربات البنيوية في النقد العربي للنص الشعري العربي الحديث، انطلاقا من البنى الإيقاعية فيه، باعتبار أن الإيقاع قد بلغ درجة النسق في الشعر العربي الحديث. كما نسعى إلى الإجابة على عدد من الأسئلة: لماذا اختار الناقد أحمد يوسف المنهج البنيوي في مقارنته للشعر العربي الحديث؟ وما هو الأساس الذي اعتمده في اختيار عينات دراسته والتي قاربت النص الشعري العربي الحديث من منظور بنيوي؟

وفي الأخير كيف تجلت أنساق الشعر العربي الحديث عند أحمد يوسف؟.

الكلمات المفتاحية : النسق ، الإيقاع ، البنيوية ، الحداثة .

تمهيد : لا بدّ في البداية من تحديد القصد "بالقراءة النسقية"، والتي وضعها أحمد يوسف عنوانا لكتابه الذي نحن بصدد دراسته، على الرغم من اعتيادنا على استعمال مصطلحات مثل: المناهج

النسقية أو النقد النسقي، غير أن أحمد يوسف قد استعمل مصطلح "القراءة" بدل مصطلح "النقد" حيث أشار إلى أن « لغة الوعي النقدي الحديث غلبت عليها سمّة الحيرة، والتردد في إطلاق الأحكام المعيارية العامة واليقينية وهذا - في حدّ ذاته - مظهر من مظاهر انزياح المقاربة من مفهوم النقد إلى مفهوم القراءة، وانزياح مفهوم القراءة من مفهوم السياق إلى مفهوم النسق»¹، فقد تغير استعمال المصطلحات، نتيجة تغير الأحوال والظروف، ولهذا فإن مصطلح القراءة عند أحمد يوسف هو نفسه مصطلح النقد - النقد النسقي - حيث يرى بأن هذا النوع من النقد مرتبط بالحدائثة وأنه جاء بديلا مشروعا للقراءة السياقية.

يشير أيضا أحمد يوسف إلى أن كتابه "القراءة النسقية"، هو قراءة للمقاربات البنيوية للشعر العربي الحدائثي، وعليه فدراسته تدرج تحت "نقد النقد" أي نقد ثاني للنقد الأول، يقول عبد الملك مرتاض « وأما نقد النقد وهو المظهر الثالث في المعرفة النقدية الجديدة فيمكن أن يمثل في التعقيب أو التعليق على نقد كتب من قبل حول ظاهرة أدبية ما، أو نظرية معرفية ما، فالمظهر الأول نقد (Critique)، و المظهر الثاني نقد النقد (Méta critique).² إن أحمد يوسف في كتابه هذا يطبق "نقد النقد" في دراسته للمقاربات البنيوية للشعر العربي، وفق المنهج البنيوي أيضا، وهذا يعني أنه المنهج نفسه -البنيوي- في النقد الأول للنص الأدبي، والنقد الثاني للمقاربات البنيوية.

وبما أننا نتساءل عن سبب اختيار أحمد يوسف للمنهج البنيوي دون غيره في دراسته لأنساق الشعر العربي، فيجيب قائلا « ليس تبنيًا لهذا المنهج ، أو دفاعا عنه، أو تسفيها لغيره من المناهج النقدية الأخرى، بل لأننا نعتقد ... أن البنيوية قد أثارت نقاشا واسعا في الخطاب النقدي العربي، أكثر مما أثارت تيارات فكرية ومناهج نقدية أخرى وخلقت تراكمات نقدية.»³، لقد عرف النقد العربي البنيوية في منتصف السبعينات عن طريق الترجمة للكتب الغربية، مثل مؤلفات رولان بارت وجاكسون وتودوروف ... من طرف النقاد العرب: مثل جابر عصفور وإحسان عباس ...، ثم تلت مرحلة التأليف والتنظير، حيث ألقت كتب حول المنهج البنيوي، وهو ما نجده مع صلاح فضل وكمال أبو ديب ... و. يمني العيد. وبهذا فإن كتاب "القراءة النسقية" يعتبر جهدا يضاف إلى جهود النقاد العرب في السعي إلى بلورة النقد الحدائثي، وبالأخص النقد البنيوي وتكمن أهميته، في أنه لا يتوقف عند التنظير للبنيوية، بل توجه نحو النقد التطبيقي للمنهج البنيوي وهو ما يتبين في قراءته لأنساق الشعر العربي الحدائثي.

تواجد مصطلح النسق Systèmes مع الدراسات اللسانية (دي سوسير)، وارتبط ارتباطا وثيقا بالمناهج النقدية الحدائثية في تحليلها للنصوص الأدبية، ويعتمد النسق على فكرة الاهتمام بالداخل

وإهمال الخارج، وبالتالي يقع النسق في خلاف مع السياق، والذي اعتمد فيه الدارسون على ما هو خارج عن النص، كالتاريخ والظروف الاجتماعية... «إن نسق الحياة النصية يحيل على الشروط الداخلية في بناء الظاهرة الأدبية، وهو ينقسم إلى ثلاثة خطابات أساسية يجمع بينها قاسم مشترك هو العمل النصي بما هو بناء و تفكيك و إعادة بناء»⁴. إن النسق يهتم بالعلاقات الداخلية في العمل الأدبي سواء كان هذا الأخير: شعرا أو رواية أو قصة....

كما توجد علاقة بين النظرية النسقية، والتي ترى بأن نظام الحياة يقوم على مجموعة من الأنساق - الأدب فرع من هذه الأنساق - والبنوية « يمكن دراسة الأدب، بوصفه نسقا فرعيا نستطيع تحديد مكوناته الداخلية بطريقة بنوية...ومن ثم ينتفي التعارض المفتعل بين المقاربة البنوية والنظرية النسقية »⁵.

يرى أحمد يوسف أن المقاربات البنوية للشعر العربي الحداثي، تسعى للبحث عن النسق « إن تحديد النسق من زاوية المعاينة البنوية في القصيدة، إنما هو إجراء من أجل إدراك العالم وفهم علاقاته فهما دقيقا »⁶، ويرى أن النسق يتجلى أكثر في البنى الإيقاعية، والإيقاع هنا هو إيقاع الشعر العربي الحداثي، انطلاقا من المنهج البنوي تقول يمنى العيد « يفسر ذلك ارتباط مفهوم الإيقاع الداخلي بمفهوم الكلية للنص، بحيث يستدعي واحدا الآخر ويوجبه، وبحيث يشكلان معا نسق النص الحديث. »⁷. أو كما يطلق عليه كمال أبو ديب « تفسير بنوي لاتجاهات التغيير في البنية الإيقاعية للشعر العربي »⁸، كما يعتقد أحمد يوسف أن النسق متصور يتصف بالشمولية على متصور البنية، وفي هذا الوضع نورد تعريفا -لجان بياجييه - للبنية « أن البنية لهي نسق من التحولات، له قوانينه الخاصة باعتباره نسقا (في مقابل الخصائص المميزة للعناصر) علما بأن من شأن هذا النسق أن يظل قائما، ويزداد ثراء بفضل الدور الذي تقوم به تلك التحولات نفسها دون أن يكون من شأن هذه التحولات أن تخرج عن حدود ذلك النسق»⁹.

وعليه فإن النسق أشمل من البنية، كما أن النسق لا يقتصر فقط على المنهج البنوي، وإنما يشمل جميع المناهج النقدية الحداثية السيميائية والتفكيكية... ذلك أن النسق « نظام ينطوي على استقلال ذاتي، يشكل كلا موحدا، وتفترن كليته بأنية علاقاته التي لا قيمة للأجزاء خارجها»¹⁰. إن النسق هو نظام من العلاقات التي تشكل كليته من داخله فقط ولا علاقة بما هو خارجي في هذا النظام. وهذا التعريف للنسق فلسفي أكثر منه أدبي، وعليه فالنسقية تنظر إلى النص الأدبي بأنه « شكل مستقل بل هو عالم قائم بذاته، ليست له علاقة مع ما هو خارج عنه وعن النسق الذي يدخل فيه، ومن أن دلالة الأشكال من النوع الوظيفي فقط، معنى هذا أن الأعمال الأدبية في نظر هؤلاء تكتسب دلالتها من أشكالها في حد ذاتها ومن أنظمتها الداخلية. »¹¹.

إننا نجد الناقد أحمد يوسف قد اختار الإيقاع الشعري باعتباره نسقا في النصوص الشعرية العربية الحديثة، وبالتالي فقد ركز اهتمامه على اختيار عينات محددة هي العينات (المقاربات النبوية) التي اهتمت بدراسة الإيقاع الشعري الحديث يقول أحمد يوسف: « لماذا هذه العينات دون غيرها؟. لأن المقاربات النبوية في الخطاب النقدي العربي الحديث لا تتوافر على تراكمات يصعب علينا الإلمام بها، ولا سيّما أن مجال البحث محدّد في اختيار المقاربات النبوية التي تعالج النص الشعري الحديث، وهذا ما خفّف علينا العبء...»¹²، بالإضافة إلى أنه يرى بعدم توفر "بنك معلومات" للثقافة العربية المعاصرة، يمكن الاستفادة منه في وضع عينات أخرى في دراسته. وعليه فقد حدد عيّنته في المقاربات النبوية التي تركز على الداخل، وعلى مبدأ المحاينة في دراستها، وأطلق عليها المناهج النسقية « وهي المناهج التي تقارب النصوص مقارنة محاينة دون الخوض في المرجعيات الخارجية. »¹³.

- أنساق الشعر العربي الحديث .

إن الحداثة لم ترافق المناهج النقدية فقط، بل رافقت تحول النصوص الأدبية، وما يهمننا نحن هنا هو الشعر العربي، الذي عرف تحولا في الشعر العمودي من ناحية البناء والإيقاع حسب ما يراه أحمد يوسف، وبالتالي فإن الحداثة قد كانت على مستويين، المستوى الأول هو الشعر العربي (الخروج عن الشعر العمودي) والمستوى الثاني هو نقد الشعر العربي وفق المناهج النقدية الحديثة (التركيز على الداخل و إهمال الخارج). كما تتدرج قراءة أحمد يوسف وفق المناهج الحديثة أيضا (النسقية في صورتها النبوية). وهو ما جعلنا نعتبر الناقد أحمد يوسف من نقاد الحداثة بالتالي فهو لا يرجع إلى التراث في تحليله للنصوص الأدبية ونقدها .

علينا منذ البداية القيام بتحديد المصطلحات وهي كالتالي : الشعر العربي الحديث، والذي عرف تحولا في إيقاع الشعر ومن بين الشعراء الحديثيين في الشعر العربي على سبيل المثال لا الحصر نجد: أدونيس، نازك الملائكة، صلاح عبد الصبور... والمصطلح الثاني هو المقاربات النبوية للشعر العربي الحديث، وهي المقاربات التي تسعى إلى اكتشاف النسق أو البحث عن النسق في الشعر العربي الحديث ومن بين النقاد الحديثيين في النقد العربي مثلا نجد : كمال أبو ديب، خالدة سعيد ، عبد الملك مرتاض...ويمكن أن نجد شاعرا عربيا حديثا، هو ناقد عربي حديث مثل ما نجده مع نازك الملائكة وأدونيس...نزار قباني.

وعليه فقد رأى الناقد أحمد يوسف بأن المقاربات النبوية للشعر العربي الحديث في تحديدها للنسق، قد عرفت ثلاث مراحل هي : هاجس البحث عن النسق، ثم مسألة التأصيل التي كانت

تتحو منحى محايتها في مقاربتها وإن اختلفت نوعا ما في قضية المحاينة بين النسق المغلق والنسق المفتوح، ثم المرحلة الثالثة، التي حاولت خلق التواشج بين النقادين الاجتماعي والبنوي لتتوالى الدراسات النقدية للشعر العربي الحدائي ذات المنحى البنوي التكويني. ولم يكن الناقد متحيزا لآرائه، بل كان يفضل تقديم بعض الآراء النقدية لنقاد آخرين لتدعيم موقف أو نظرة معينة أو حتى دحضها.

1-هاجس البحث عن النسق :

تجلت الإرهاصات الأولية التي رسمت أفق البحث عن النسق في المقاربات النقدية التي اتخذت النص الشعري الحدائي مادة لموضوعها، والجدول الموالي يبين مرحلة الإرهاصات الأولية وهاجس البحث عن النسق في الشعر العربي الحدائي، بحسب ما يراه أحمد يوسف وأهم النقاد الذين اعتمد عليهم في بيان طروحاته وهو ما يمثله الجدول رقم 1 :

النسق	المقاربات البنوية للشعر العربي الحدائي	النصوص الشعرية الحدائية التي تمت مقاربتها	النقاد الذين اعتمد عليهم أحمد يوسف في تدعيم قراءته
الإرهاصات الأولية، البحث عن النسق	1-مقاربة إلياس خوري . دراسات في نقد الشعر".	1-قصيدة بعنوان "أنشودة المطر للبدر شاعر السياب . 2-قصيدة "مفرد بصيغة الجمع لأوتيس . 3- قصيدة "سرحان يشرب القهوة في الكافيتريا" مجموعة "محاولة رقم 7 للمحمود درويش ."	1-كمال أبو ديب ص408 2-عبد الله الغفالي ص 412 3-محمد مفتاح ص413
	2-مقاربة خالدة سعيد . "حركة الإبداع (دراسات في الأثب العربي الحديث)".	1-قصيدة "هذا هو اسمي لأوتيس. 2-قصائد السياب "قصيدة النهر والموت"	1-محمد بنيس ص419، 424. 2-جوليا كريستيفا ص420.
	3-مقاربات أخرى: 1-محمد سعدي 2-سامي سويدان 3-حمرون فارس 4-خليل موسى 5-لطفي اليوسفي	1-قصيدة حيزية لعز الدين المناصرة . 2-نهر الرماد لخليل حاوي . 3-البحار والدرويش لخليل حاوي 4-شعر أمل دنقل 5-أنشودة المطر للسياب، وقصائد أخرى	1-بوريس ايخنايوم 2-ديزيره سغال

يرى أحمد يوسف أن الإرهاصات الأولية للبحث عن النسق في الشعر العربي الحدائي انطلقا من البنية الإيقاعية، اعترته مجموعة من الصعوبات تجلت في : تفاوت المقاربات في فهم وتأويل

النسق بين من يعتمد النسق المغلق، ومن تفصح في النظر إليه من خلال اعتماد النسق المفتوح. بالإضافة إلى اختلاف المعجم النقدي في استعمال المصطلح « نظرا لغياب تراكم معرفي ونظري متعلق بالمناهج فإن الجهاز المصطلحي لأغلب الدراسات والأبحاث يتسم بالتباين والتعدد، وهو ما انعكس لاحقا على مجمل الدراسات النقدية الأدبية، حيث لا تزال إلى يومنا هذا قضية المصطلح النقدي مطروحة بحدّة»¹⁴. وقد انتهت هذه المقاربات إلى أن النسق ماثل في الخطاب الشعري العربي الحدائلي.

1-1- مقارنة إلياس خوري :

ينظر أحمد يوسف لهذه المقاربة بعين المولود الذي انطلق لتوه ليكتشف و يبحث، ولهذا فقد وجد بأن "إلياس خوري" قد وقع في الخلط وعدم الوضوح، إلا أن مقارنته تبقى على جانب من الأهمية لريادتها وأسبقيتها في مقارنة النصوص الشعرية مقارنة بنيوية، وقد توصل أحمد يوسف في قراءته لمقاربة إلياس خوري إلى:

. مقارنته عاجزة عن تقديم تفسير جلي للبنية الإيقاعية، ارتباك في استخدام الأدوات الإجرائية في الممارسة النقدية.

. بالإضافة النوعية التي قدمتها مقارنته إقرارها "بالقراءات المتعددة للنص الواحد".

أما عن الصعوبات التي لامسها إلياس خوري في مقارنته النقدية هي غياب نموذج للاحتذاء به « النسق يحتاج إلى نموذج و النموذج لا يقدمه الماضي الذي انتهى، ولا الرأسمالية الغربية، فالنسق الأدبي العربي لا يمكن دراسته إلا من داخله، أي من القيم و الأشكال التي يحاول ترسيخها و على أساس مستقبلها. »¹⁵. ولهذا نلغيه قد ركز في مقارنته على المحدد الداخلي في القصيدة .

توصل أحمد يوسف إلى أن مقارنة إلياس خوري باعتبارها تمثل الإرهاصات الأولى للبحث عن النسق، عاجزة في دراستها للإيقاع الشعري، واستيعابها غير واضح للمناهج العلمية التي يصطنعها إطارا نظريا وأداة إجرائية في مقارباته.

لا يتوقف أحمد يوسف عند إبداء موقفه من مقارنة إلياس خوري، بل يقدم قراءات أخرى لنقاد آخرين، حول الطروحات التي عرضها في مقارنة إلياس خوري بالشرح والتحليل داعما لفكرة معينة أو مدحضا لها، ونجده قد استعان بموقف الناقد "عبد الله الغدامي" فيما يتعلق بصعوبة المصطلح الذي عانى منه إلياس خوري في مقارباته، حيث يرى الغدامي أنه لا بد من الاستعانة بالتراث في

وضع المصطلح النقدي، ثم يعرض أحمد يوسف رأياً مخالفاً لـ "عبد الله الغدامي" وهو موقف الناقد "محمد مفتاح" والذي يعتمد على وضع آليات جديدة للقراءة النسقية تمنح من معين الحداثة والتراث. كما توصل أحمد يوسف إلى أن الياس خوري لم يتقيد بمواصفات البحث الأكاديمي، وسعى إلى الخروج عن البحث الجامعي « التي لم يكن بإمكانها مواكبة التطور الكبير الذي حصل في الإبداع الشعري العربي منذ منتصف القرن العشرين ». ¹⁶

1-2- مقاربة خالدة سعيد :

تتشرك خالدة سعيد مع إلياس الخوري في هاجس البحث عن النسق، غير أن مقارباتها للنص الشعري الحداثي تتسم بجرأة الطرح بحسب ما يعتقد أحمد يوسف والجمع بين التطبيق والتطعيم بالنظرية في دراساتها.

كما ترفض خالدة سعيد القراءات السياقية وهي تتطلع إلى "القارئ الحديث" لأن القراءة في معتقدها هي إضاءة لقراءات سابقة، وهي بهذا تطرح فكرة "القراءات المتعددة" أو التعدد في "الفهم والتأويل" للنص الشعري العربي الحداثي « ذلك لأن شعر الحداثة العربية المعاصرة صعب و مبهم و مشتت دلاليا، ونصه يبدو متشظيا مليئاً بالشروخ والفراغات والمساحات البيضاء التي تنتظر من يملؤها، والمدلول فيه يبدو منفلتا من الدال المعجمي و متمردا عليه حتى لم تعد العلاقة بينهما تلك العلاقة الثابتة المستقرة لما أصابها من ضعف وتوتر » ¹⁷. ولهذا فهي تعتبر أن القارئ يملأ النص. يخالف الناقد أحمد يوسف الناقدة خالدة سعيد في نظرتها إلى "أن القارئ يملأ النص" «إننا لا نتفق مع خالدة سعيد في هذه المسألة، لأن القارئ لا يملأ النص». ¹⁸

و بعد عرض أحمد يوسف لمقاربة خالدة سعيد "لقصيدة هذا هو اسمي لأدونيس" توصل إلى :

. لم تستطع مقاربتها المحافظة على توازنها، فلم تستطع المحافظة على القراءة النسقية بل مالت إلى القراءة السياقية .

وفي قراءتها لـ"قصيدة النهر والموت للسياب" توصل أحمد يوسف إلى :

. انخرطت لغتها في الأحكام العامة، واستعمال آليات القراءة السياقية ذات المنحى الماركسي.

وفي هذا يقول "محمد بدوي" حول كتاب خالدة سعيد "حركية الإبداع" « تحاول المؤلفة أن تستخدم أدوات التحليل البنيوي، مستفيدة من إنجازات النقد البنيوي وخاصة لدى الناقد المعاصر "رولان بارت"، ومن المهم أن نشير هنا إلى أن الكاتبة لا تستفيد من إمكانات المنهج كما ينبغي » ¹⁹. ويوافق الرأي محمد عزام في قوله «اضطربت خالدة سعيد في تحقيق ممارسة نقدية في ضوء

المنهج البنيوي في نقددها لقصيدتي أدونيس والسياب حين اعتمدت بعض مقولات هذا المنهج ونبذت مقولات أخرى، ولعل سبب "هذه التوفيقية" هو التلقي المبكر لهذا المنهج (في عام 1970) حيث لم تكن مقولاته قد توضحت تماما. «²⁰.

لقد استعان الناقد أحمد يوسف في قراءته لمقاربة خالدة سعيد ببعض الآراء النقدية لـ"محمد بنيس" فيما يتعلق بقولها "الوعي الحاضر الغائب" حتى لا يبدو أحمد يوسف بموقف المتعصب لرأيه. وفي قراءته للاحتمالات التي قدمتها خالدة في تلقي قصيدة "هذا هو اسمي" لأدونيس استعان أحمد يوسف بقول "جوليا كريستيفا" حول "الكلام المحتمل" خاصة في النص الشعري الحدائي .

وعليه يرى أحمد يوسف بأن خالدة سعيد حاولت «أن تكون على بينة من الخلفيات المعرفية والمرتكزات الفلسفية التي تنطلق منها في مقاربة الشعر الحدائي»²¹. كما أنها مدركة لأهمية القارئ في العملية الإبداعية، وما يحسب لها أيضا، هو مقاربتها لجنس شعري لا يزال في موقع الأخذ والرد .

1-3- مقاربات أخرى :

تواجهت بعض المقاربات للنص الشعري العربي الحدائي في الدوريات والمجلات وحتى الرسائل الجامعية، فاعتبرها الناقد أحمد يوسف أعمالا نقدية لا يمكن الاستهانة بها، ولهذا فقد قام بقراءته لهذه المقاربات فتوصل إلى :

. أن هناك مقاربات بنيوية ولكنها أهملت دراسة الإيقاع مثل مقاربة "محمد سعدي" لـ "قصيدة عز الدين المناصرة بعنوان حيزية عاشقة من رذاذ الغابات" وهذا يدل على ضعف الناقد محمد سعدي بالإيقاع الشعري. وهو ما وجده كذلك في مقاربة "سامي سويدان" في "قصيدة نهر الرماد لخليل حاوي"، الذي اعتذر عن متابعة النظام الإيقاعي للقصيدة، وركز على البنية الثلاثية في القصيدة حيث أضفى بعد رؤيويًا على القافية .

أما مقاربة مروان فارس لقصيدة "البحار والدرويش لخليل حاوي" فقد رأى أحمد يوسف بأنها مقاربة تفتقد إلى المعجم النقدي من خلال الخلط بين المفاهيم وعدم وعيه بالمصطلحات التي تتسجم مع المقاربة النسقية البنيوية .

ومن بين المقاربات البنيوية للنص الشعري العربي الحدائي، مقاربة ديزيره سقال لقصيدة "مناخ لخليل حاوي" التي نشرت في مجلة الفكر العربي المعاصر، ومقاربة "خليل الموسى" لأنموذج من شعر أمل دنقل ، فرأى أحمد يوسف أن مقاربة "ديزيره سقال" « تبدو أقرب إلى الانطباع منها إلى

الممارسة التي يوجهها إطار منهجي واضح وإن كانت تستعير الأدوات النقدية التي تصطنعها القراءة النسقية في مقارنة النص الشعري الحدائي «²². كما أن مقاربات لطفي اليوسفي بحسب أحمد يوسف لم تخرج عن إطار التكرار واصطناع التضاد ... و عليه فإن مفهوم الإيقاع الداخلي بقي غامضا في أغلب المقاربات البنيوية التي تناولت البنية الإيقاعية .

لقد توصل أحمد يوسف إلى أن هاجس البحث عن النسق في المقاربات البنيوية للنص الشعري العربي الحدائي كانت تنطلق من متصورات بنيوية لكنها تختلف في تحديد المعجم النقدي وفي الفهم والتأويل، وتوصل في قراءته إلى أن النسق مائل في الخطاب الشعري ولكنه معتاص عن الإدراك. وأن طموح القراءة النسقية في النفاذ إلى داخل النص الشعري ومقاربة بنيته الإيقاعية لا تتعدى مجرد الوصف وانتقاد الإيقاع الخارجي من وزن و قافية.

2-التأصيل و معالم القراءة المتعدّدة :

انتقل أحمد يوسف من متابعة هاجس البحث عن النسق إلى مسألة التأصيل والوقوف على معالم القراءة المتعددة والمقصود بالقراءة المتعددة هو التأويل « والقراءة التأويلية من وجهة نظر بنيوية تعطي أهمية لعلاقات النص المُكونة لبنيته الدلالية : فلا معنى لأية وحدات في النص (بل في أي نظام) إلا بفضل علاقاتها الداخلية بعضها ببعض »²³، كما أن معالم القراءة المتعددة تسعى إلى القارئ المتعدد، وبالتالي لا ترتبط بالنسق المغلق أو القراءة الأحادية للنص وإنما تنتصر إلى القراءة المتعددة له . ويمثل أحمد يوسف لمسألة التأصيل في مقارنة الشعر الحدائي بمقاربة كمال أبو ديب وعبد الملك مرتاض التي انتصرت للتعدد، وهو ما يبيّنه الجدول رقم 2 :

النسق	المقاربات البنيوية للشعر العربي الحديث	النصوص الشعرية الحداثيّة التي تمت مقاربتها	النقاد الذين اعتمد عليهم أحمد يوسف في تدعيم قراءته
التأصيل و معالم القراءة المتعد	1-مقاربة كمال أبو ديب (جدلية الخفاء و التجلي ، في البنية الإيقاعية للشعر العربي ، في الشعرية)	1-قصيدة كيمياء التريخس -حلم لأفونيس . 2-قصيدة من قانون الأحوال الشخصية لغايز خضور . 3- قصيدة الدخول بين الورد والدم لحمد عمران . 4-قصيدة و نمر المدينة برقا لمدوح عدوان . 5-قصيدة التحديق في المجهر التلويبي لطي الجندي 6-قصيدة تحولات الصقر لصلاح عبد الصبور	1-صلاح فضل ص444. 2-لطفي اليوسفي ص445. 3-جورج موان ص455. 3-محمد بنيس ص462.
	2-مقاربة عبد الملك مرتاض النص الأدبي من أين و إلى أين؟ ، بنية الخطاب الشعري	1-قصيدة أنجان بمانية لعبد العزيز المفالغ	1-إميل بنيفيست ص480.

يرى أحمد يوسف أن مرحلة التأصيل في المقاربات البنيوية للنسق الشعري العربي الحداثي اختص بها كل من كمال أبو ديب وعبد الملك مرتاض، ولا يكاد يختلف اثنان حول ريادة كمال أبو ديب في التنظير والتطبيق للمنهج البنيوي حيث أن مقارباته في تقديم النظرية البنيوية « حاولت التأسيس للخطاب النقدي التطبيقي الجديد في ميدان الشعر »²⁴، كما لا يخفى دور عبد الملك مرتاض في السعي إلى إيجاد مكانة للنقد العربي إلى جانب النقد الغربي من خلال الجمع بين التراث النقدي العربي والمناهج الغربية في مقارنته للنصوص الأدبية.

2-1- مقاربة كمال أبو ديب :

يسعى كمال أبو ديب في مقارباته للنص الشعري العربي الحداثي حسب أحمد يوسف إلى التنظير للبنيوية إلى جانب الممارسة الإجرائية ، باعتبارها بديلا للقراءات السياقية وعليه فقد كانت قراءة أحمد يوسف لمقاربة أبو ديب كالتالي :

.كان أبو ديب واعيا بمنطلقاته النظرية وممارسته العملية للبنية الإيقاعية في الشعر العربي غير أن مقارباته البنيوية « لم تجد فكاكا من أسر النسق المغلق على الرغم من أنه لم ينجح إلى الصورية كل الجروح و كثيرا ما كانت متصوراته أقرب إلى البنيوية التكوينية منها إلى التطبيقات المحايدة »²⁵.وعليه فإن كمال أبو ديب يعتبر أنموذجا في مقارباته البنيوية للنص الشعري العربي الحداثي،

من خلال الجمع بين النسق المغلق والنسق المفتوح أي أن النسق كان ماثلا في مقارباته، غير أن ما يؤخذ عليه هو التكلف في بعض ممارساته الإجرائية .

. كما يعتقد أحمد يوسف أن مقاربات كمال أبو ديب التطبيقية تتضوي تحت "تعدد المعنى" وإن كان لا يذهب إلى تعدد المعنى و دلالاته المفتوحة . أما فيما يتعلق بالمعجم النقدي عنده والتحكم في آليات القراءة النسقية « لم تفلح في تجديد معجمها النقدي ولم تتمكن من تجنب استعمال اللغة النقدية الموروثة عن القراءات السياقية »²⁶، خاصة في مقاربتة البنيوية لقصيدة - كيمياء النرجس حلم - لأدونيس ، من خلال عدم تخلصه من ثنائية الشكل والمضمون التي جاء مفهوم البنية بديلا لها .

. و فيما يتعلق بمقاربة كمال أبو ديب لقصيدتي فايز خضور ومحمد عمران، فقد رآها أحمد يوسف بأنها مقاربة فاترة وباهتة، ويقول « حتى إنها تكاد تكون تطبيقا نحويا خالصا أكثر منها تحليلا نقديا »، وبالرغم من أن مقارباته تعدد أحيانا إلى اللغة الإنشائية إلا أنها تغلب عليها . " الجدية في الطرح والمهارة في التحليل نظرا لوضوح منطلقاتها الفكرية ومصطلحاتها النقدية " .

لقد كان أحمد يوسف في قراءته لمقاربة كمال أبو ديب البنيوية للنص الشعري العربي الحدائثي، يعتمد إلى تطعيم آرائه بآراء نقدية مختلفة، فنجدته قد استعان ببعض النقاد منهم على سبيل المثال عرض موقف **لمحمد لطفي اليوسفي** في ضرورة التخلي عن القراءات السياقية في المقاربات البنيوية، وأيضا قدّم أحمد يوسف موقفا **لصلاح فضل** حول أهمية التنظير للمنهج البنيوي قبل اللجوء إلى الممارسات الإجرائية على النص الأدبي . كما استعان برأي **لجورج مونان** حول الخلط الذي يقع فيه الدارسون بين اللسانيات و النقد الأدبي. و لجأ إلى الاستعانة بموقف **محمد بنيس** فيما يخص إبدال الوحدة الوزنية (فاعلن) بالوحدة الوزنية (علن فا) التي قام بها أبو ديب.

2-2- مقارنة عبد الملك مرتاض :

لا تختلف مقاربة عبد الملك مرتاض عن مقاربة كمال أبو ديب من حيث أهميتها بالنسبة لتأصيل المنهج البنيوي في الممارسات النقدية العربية، وفي بحثها عن النسق في الشعر العربي الحدائثي .

ينطلق أحمد يوسف في قراءته للمسار النقدي عند عبد الملك مرتاض من مؤلفاته التي ترسم معالم حدائثية في التعامل مع النص، حيث تكمن أهمية خطاب عبد الملك مرتاض النقدي في قدرته على الجمع بين التراث والحدائث . وبعد قراءة أحمد يوسف للممارسات النقدية التي قام بها مرتاض في بعض أعماله منها "بنية الخطاب الشعري" وجدته ينتصر إلى "القراءة المتعددة" للنص الشعري الحدائثي « ولقد قام عبد الملك مرتاض بترجمة هذه المسئلة على صعيد النقد التطبيقي، فبعدها

تناول قصيدة أشجان يمانية لعبد العزيز المقالح بمنظور يمنح في كثير من أدواته النقدية من المنهج البنوي، ثم أعاد قراءة القصيدة قراءة ثانية في ضوء المنهج السيميائي²⁷، و يوضح أحمد يوسف أن مقارنة عبد الملك مرتاض لقصيدة أشجان يمانية للمقالح قد ركزت على المؤثرات الصوتية في الإيقاع، بالرغم من أن مرتاض لم يجد ما يتكئ عليه من رصيد معرفي حول الإيقاع. ليتوصل أحمد يوسف في قراءته إلى أن أسس القراءة النسقية كانت موجودة في التراث العربي وهو ما يتجلى في "مفهوم الشعر عند ابن طباطبا"، وهو موضوع يحتاج إلى البحث والدراسة.

وعليه فإن مقارنة مرتاض لقصيدة أشجان يمانية - باعتبارها نصا شعريا عربيا حديثا- تعتمد على تصنيف الإيقاع ولكن مرتاض لم يبحث عن نسق التفعيلة التي وظفتها القصيدة، وهذا لأن مرجعيات مرتاض في دراسته للإيقاع الشعري تعود إلى تراث الشكلايين الروس لهذا فإن «الممارسة النقدية في "بنية الخطاب الشعري" لم تتبع الطرائق المعهودة والسبل المألوفة في تناول البنية الإيقاعية في النص الشعري الحدائي»²⁸. كما تبين أحمد يوسف أن مقارنة مرتاض لم تصرح بتبني المنهج البنوي، غير أنه في ممارساتها تصطنع أدبيات هذا المنهج، وعليه فإن مقارنة مرتاض تشير إلى متهات الوعي النقدي المعاصر وافتقاره إلى الضوابط التي ترشد مسعاها. وفي هذا يقول محمد عزام عن مقارنة مرتاض « في كتابه (بنية الخطاب الشعري: دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمانية) عام 1986. كنا نتوقع أن يطلعنا الباحث على نظرية المنهج التشريحي الذي عنون به كتابه، لكنه ما زاد على أن عالج قصيدة الشاعر اليماني عبد العزيز المقالح عبر مناقشته للعناصر التالية: خصائص البنية، الصورة الفنية، الحيز الشعري، الزمن الأدبي، الصوت والإيقاع، المعجم الفني، وكلها عناصر فنية في النقد التقليدي لا الحدائي»²⁹

انتهى أحمد يوسف إلى طرح أسئلة حول إمكانية تطبيق المناهج النقدية الحدائية في الثقافة العربية المعاصرة وعلى فهم النسق واستجلاء معالمه، و هذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن النسق في المقاربات البنيوية للنص الشعري الحدائي بقي غامضا وهو بحاجة إلى مزيد من البحث والدراسة.

3- من النسق المحايث إلى النسق الاجتماعي

عرف النسق تحولا - في المقاربات البنيوية - من النسق المحايث إلى النسق الاجتماعي، وهذا بعد أن كانت المقاربات البنيوية تعمد إلى اعتبار النص الشعري نسقا مغلقا، لتأتي نظرة مخالفة سئمت من هذا الطرح واعتمدت فكرة النسق المفتوح، وهو ما نجده في مقارنة يمى العيد وفي مقاربتى محمد بنيس وعبد الله راجع. وهو ما يبينه الجدول رقم 3:

النسق	المقاربات البنيوية للشعر العربي الحدائي	النصوص الشعرية العربية التي تمت مقاربتها	النقاد الذين اعتمد عليهم أحمد يوسف في تدعيم قراءته
من النسق المحايث إلى النسق الاجتماعي	1-مقاربة يمني العيد -خي معرفة النص، ومجلة الكرمل، ع1981، 1.	1-قصيدة النار و الجليد لمحمود الماغوط 2- قصيدة بيروت لمحمود درويش	1- عز الدين إسماعيل ص490. 2- هنري ميشونيك ص497. 3- نازك الملائكة ص509
	2-مقاربتا محمد بنيس و عبد الله راجع .	2-الشعر المغربي المعاصر	

3-1- مقارنة يمني العيد

تمثلت مقاربتها - في اعتقاد أحمد يوسف- للنص الشعري الحدائي في مزيد من الدقة والوضوح، كما أن ملامح القراءة النسقية عند يمني العيد تكمن في جرأتها على طرح الأسئلة . أما في مقاربتها لقصيدة "النار والجليد لمحمود الماغوط" لم تهتد إلى استكشاف كثافة الإيقاع أما في مقاربتها لقصيدة "بيروت لمحمود درويش" فقد كانت « تتوخى في خطواتها معالم القراءة النسقية »³⁰، وما يُحسب لمقاربتها أيضا هو اهتمامها بالبعد الدلالي للقصيدة، وعليه يرى أحمد يوسف أن مقارنة يمني العيد للشعر العربي الحدائي كانت أكثر أصالة وتميزا .

3-2- مقاربتا محمد بنيس و عبد الله راجع :

تكمن أهمية دراستيهما للشعر المعاصر في المغرب" أنها تنتمي للدراسات الأكاديمية، كما أعلنّا في مقاربتيهما مقاطعة المناهج السياقية، واختارا "التوليف المنهجي" الذي اصطنعه لوسيان غولدمان من خلال الجمع بين النص والواقع. يقول محمد بنيس « نترسخ شعرية الإيقاع في الرؤية إلى النص كإنتاج لإيقاع الذات الكاتبة، بما هو إيقاع متعدد ولا نهائي، يستعصي على الاختزال إلى ثنائية الدليل... و لذلك فإن شعرية الإيقاع تظل مفتوحة على الدوام »³¹، تطرّق أحمد يوسف في قراءته لهاتين المقاربتين إلى موضوع " الشاعر الناقد" حيث أن محمد بنيس و عبد الله راجع "شاعران وناقدان" « وهو ما سمح لهما بدراسة البنية الإيقاعية في الشعر المعاصر دراسة داخلية و من منظور بنوي تكويني يتجاوز الرؤيا البنيوية الصورية ذات الطبعة المحايثة »³² .

كما ينبغي إدراك أهمية مقاربتيهما للشعر المعاصر في المغرب على سد الفراغ النظري وتقديم دراسة فيما يتعلق بالبنية الإيقاعية حسب ما يراه أحمد يوسف، وبعد قراءته لمقاربتيهما وتحليلهما، وجد بأنه في مقارنة محمد بنيس يميل المصطلح النقدي إلى اللغة الإنشائية التي تمزج بين النقدي والشعري، إلا أنها محاولة سعت للوقوف على بنيات النص الشعري الحدائي وإبدالاته « إن محمد

بنيس من خلال كتابه هذا (ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب) جسد بعض مبادئ المنهج البنيوي التكويني كما قدمه لوسيان جولدمان حيث عمل على تحديد البنيات الدالة ثم قام بنقل هذه البنيات إلى مستوى أعلى و أدخلها في بنية أكثر اتساعا «³³. وأما مقارنة عبد الله راجع فقد كان لها دور مهم في قراءة النص الشعري المغربي المعاصر في فترة السبعينات « على الرغم من اصطناع المقاربتين للمنهج البنيوي التكويني صراحة أو ضمنا ، إلا أنها ركزت على الشعريات البنيوية في دراسة البنية الإيقاعية و الاستثناس بالأسلوبيات في التحليل «³⁴ لكنه يوجد من يعارض أحمد يوسف في موقفه من عبد الله راجع « عبد الله راجع لم يأت بجديد في ما نسب من مزايا إيقاعية لشعراء المغرب في السبعينات «³⁵، وهذا يعني أن النتائج التي توصل إليها عبد الله راجع في ما يخص البنية الإيقاعية قد سبقه إليها الدارسون. كما نجد أن أحمد يوسف قد استعان بمجموعة من النقاد في قراءته للمقاربات البنيوية التي اعتمدت النسق الاجتماعي من خلال الاستعانة بأراء لعز الدين إسماعيل و هنري ميشونيك ونازك الملائكة

لقد تجلت أنساق الشعر العربي الحداثي من منظور أحمد يوسف في كتابه القراءة النسقية سلطة البنية و وهم المحايثة ، في أن المقاربات البنيوية التي اتخذت من النسق سبيلا في مقاربتها، قد تراوحت بين صعوبة إدراك النسق في الشعر العربي الحداثي وهو ما أطلق عليه أحمد يوسف "هاجس البحث عن النسق"، و بين إدراك النسق والتأصيل له، لكنه نسق يتراوح بين الانغلاق والانفتاح، ثم الطرح الجاد للنسق والقيام بمقاربات متميزة وهو نسق مفتوح عمد إلى ربط النص بالواقع، وأطلق عليه أحمد يوسف بالنسق الاجتماعي أو ما يعرف بالبنيوية التكوينية التي سمحت بتقديم رؤيا جديدة لتاريخ الشعر العربي الحداثي .

ملحق بالانجليزية

Systems Of Modern Arabic Poem From The Critic Ahmed Youcef's Perspective. Study in the book " Sestimatic Study Power of Structure and Illusion of Immanence "

In this study, we attempted to discover systems of modern Arabic poem from the critic Ahmed Youcef's perspective in his book " Systematic study : Power of Structure and Illusion of Immanence " , in which he discussed the most important structural approaches in the Arabic criticism of the modern Arabic poetic text, based on its rhythmic structures considering that rhythm has reached the level of system in the modern Arabic poem .

We also sought to answer a number of questions : Why has the critic " Ahmed Youcef " chosen the structural method in his approach to modern Arabic poetry ? and on what basis has he selected his study samples approached to the modern Arabic poetic text from a structural perspective ?

In the latter how have the systems of modern Arabic poetry manifested according to Ahmed Youcef ?

We came up with following results:

- The system manifested in the structural approaches of modern Arabic poem .
- Ahmed Youcef was a modern critic because he adopted modern critical methods such as structurals , semiotics

Key words : system , rhythm , structuralism , modernity .

الهوامش :

- *- أحمد يوسف : مؤلف وناقد جزائري من مؤلفاته: القراءة النسقية سلطة البنية و وهم المحاينة، السيميائيات الوصفة، الدلالات المفتوحة، يتم النص الجينيولوجيا الضائعة، علامات فارقة في الفلسفة و اللغة والأدب.
- ¹- أحمد يوسف، القراءة النسقية سلطة البنية و وهم المحاينة، ط1، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، لبنان، 2007، ص483.
- ²- عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2007، ص68.
- ³- أحمد يوسف، القراءة النسقية، ص 12. هناك أسباب أخرى يمكن الاطلاع عليها في نفس الصفحة.
- ⁴- كليمان موزان، تر:حسن الطالب ما التاريخ الأدبي، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، لبنان، 2010، ص(40،41).
- ⁵- كليمان موزان، ما التاريخ الأدبي، ص32.
- ⁶- أحمد يوسف، القراءة النسقية، ص453.
- ⁷- يمني العيد، في معرفة النص، ط3، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1985، ص101.
- ⁸- كمال أبو ديب، جدلية الخفاء والتجلي، ط3، دار العلم للملايين، لبنان، 1984، ص93.
- ⁹- زكريا إبراهيم، مشكلات فلسفية - مشكلة البنية - مكتبة مصر، ص31.
- ¹⁰- إديث كريزويل، تر:جابر عصفور، عصر البنيوية، ط1، دار سعاد الصباح، الكويت، 1993، ص415.
- ¹¹- عبد الله خضر حمد، مناهج النقد الأدبي السياقية و النسقية، دار القلم للطباعة والنشر، لبنان و ص 114.
- ¹²- أحمد يوسف، القراءة النسقية، ص 16. هناك أسباب أخرى يمكن الاطلاع عليها في نفس الصفحة
- ¹³- عبد الله خضر حمد، مناهج النقد الأدبي النسقية و السياقية، ص113.
- ¹⁴- عمر عيلان، النقد العربي الجديد، مقارنة في نقد النقد، ص 20، الدار العربية للعلوم ناشرون لبنان، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2010..
- ¹⁵- أحمد يوسف، القراءة النسقية، ص 405. ينظر إلياس خوري، دراسات في نقد الشعر ،ص4.
- ¹⁶- أحمد يوسف، القراءة النسقية، ص 17.

- 17- عبد الرحمن محمد القعود، الإبهام في شعر الحداثة، عالم المعرفة، الكويت، 2002، ص296.
- 18- أحمد يوسف، القراءة النسقية، ص421.
- 19- محمد بدوي، عرض كتاب حركية الإبداع لخالدة سعيد، مجلة فصول، م1، ع3، 1981، ص292.
- 20- محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003، ص102.
- 21- أحمد يوسف، القراءة النسقية، ص17.
- 22- أحمد يوسف، القراءة النسقية، ص436.
- 23- عبد الرحمن محمد القعود، الإبهام في شعر الحداثة، ص302.
- 24- عمر عيلان، النقد العربي الجديد، ص45.
- 25- أحمد يوسف، القراءة النسقية، ص441.
- 26- أحمد يوسف، القراءة النسقية، ص465.
- 27- أحمد يوسف، القراءة النسقية، ص468.
- 28- أحمد يوسف، القراءة النسقية، ص480.
- 29- محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية، ص138.
- 30- أحمد يوسف، القراءة النسقية، ص487.
- 31- محمد بنيس، الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها، ط3، دار توبقال للنشر، 2014، المغرب ص84.
- 32- أحمد يوسف، القراءة النسقية، ص489.
- 33- بشير تاوريت، الحقيقة الشعرية، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010، ص81.
- 34- أحمد يوسف، القراءة النسقية، ص517.
- 35- أحمد المعداوي، أزمة الحداثة في الشعر العربي المعاصر، ط3، منشورات دار الآفاق الجديدة، 1993، ص55.